

مِنْ شَهَادَةِ الْإِسْلَامِ

عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ

لِلْأَسْتَاذِ كَامِلٍ مُحَمَّدٍ حَبِيبٍ

« أبشروا آلَ عمارَ فإن موعدكم الجنة »
(حديث شريف)



وقف يباب
دار الأرقم ورجل
آدم طوال أصلع
أشهل العينين ببيد
مايين المتكئين...
وقف يردد بصره
فيما حوله وإن
الشیطان ليوسوس
له يريد أن يثنيه
عن عزمه ، وإن
قلبه لينتفض مما

استولى عليه من الرعب . وكيف لا يستلبه الفزع من بعض عقله
وهو في هذا البلد وحيد ؛ فما من عشيرة تحميه ، وما من أهل
يدفعون عنه الأذى ؛ وقريش من وراثه في الصولة والسلطان
أشداء على صحابة محمد ورفاقه ، يصيبون عليهم فتونا من القسوة
والعذاب في غير رحمة ولا شفقة ؟ واصطرح في رأس الرجل
عاملان : هنا النبي الكريم يشرق النور الألهي من جبينه فيسطع
متألفاً يجذب اليه جماعة ممن رضی الله عنهم ، وهناك قريش
لا تستطيع أن تنزل عن كبريائها في هوان وذلة وهم سادة القوم
وأمرؤهم فكيف يلقون السلم في سمة ؟ كلا ، بل أرادوا أن
يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره
المشركون

أفينكص الرجل على عقبه ليرتدى في النواية مرة أخرى
ويمكف على أصنام من حجارة لا حول لها ولا طول ، أم يتدفع

صورة غنى ، إنما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه «
ومفتاح التصوف نكران الذات وعدم الأثرة أو بمعنى آخر
« الحب » ومع أن هذه الفكرة ليست غريبة بأكملها ، إلا أنها
كانت بعيدة جداً عن أن تكون معروفة للمسلمين الأتقياء الذين
كانوا متأثرين تماماً بقوة الله وبطشه أكثر من رحمته ووفائه ..
وإن جل تاريخ التصوف هو مناهضة التفرقة غير الطبيعية بين الله
والإنسان ، وتبعاً لذلك لا أرى ثمة ضرورة تدعونا للبحث
عن أصل المذاهب الصوفية في غير الإسلام ، على الرغم من أنه
من الخطأ ألا نذكر الأثر المسيحي الذي أثر ولا بد في الحركة
في طورها الأول .

أما الطابع التفكيرى الذى أشربوه شيئاً فشيئاً ، والذي بدلهم
على مر الزمن فقد كان بين مد وجزر وارتفاع وانخفاض طوال
العصر الأموى وطيلة قرن تقريباً بعد تقلد بنى العباس مقاليد
الخلافة والحكم . ولا يزال الصوفيون الأوائل يهجون منهج
السنة ، فصّلهم بالإسلام نسبياً كصلة متصوفي الأسيان في
القرون الوسطى في الكنيسة الكاثوليكية . ذلك بأنهم كانوا
يعلقون كبير أهمية على بعض النواحي الخاصة في التعاليم الإسلامية
ويولونها جل اهتمامهم بدرجة تجعل النواحي الأخرى تكاد تكون
في حيز العدم . وهم لا يهتمون في علم الكلام Dialectic ولكنهم
يكرسون أنفسهم لسائل تتعلق باللاهوت العملى ، وإن نكرانهم
للذات وتشفههم البالغ أقصى نهايته وتقوأم الحادة واعتزالهم ...
كل هذه الأمور جعلت خواص رسالتهم الأولية توصف بالدهول

ترجمة : ع . ع

قصة الشعر العالى

القاضى عمر

لهوستاذ عبد الفنى سمرى

تطلب من المؤلف ، ومن المكاتب الشهيرة

وانطلق الفوج الأول من المسلمين إلى الحبشة فراراً من أذى قريش وخوفاً من الهوان والفتنة ، وعلى أثره الفوج الثاني وفي أكبادهم حرق أن نأوا عن وطنهم وأولادهم وعشبهتهم ، وعمار صابر على أذى الكفار يتحملة في جلد وصمت على حين يستطيع أن يصبر عن مشرق النور والرحمة من وجه النبي (ص) ، وما يزيد العذاب إلا إيماناً بمحمد (ص) ودين محمد

وهاجر عمار - فيمن هاجر - مع النبي (ص) إلى المدينة فهبطها نحي ، فما تلبث حتى أخذ يشيد للرسول مسجداً يقيم فيه الصلاة في غير حذر ولا رقية ، وفي نفسه اللذة والطرب وهو ينشد : « نحن المسلمون نبني المساجد » ورسول الله يردد : « المساجد » واندفع القوم يشد بعضهم أزر بعض يحمل كل واحد منهم لبنة لبنة غير عمار فهو يحمل لبنتين لبنتين ، وراع القوم أن يجهد عمار نفسه فتقل الحديث في هس : « إن عماراً يريد أن يقتل نفسه فهو يحملها فوق طاقها ! » وسمع النبي (ص) الحديث فراح ينفخ التراب عن رأس عمار وهو يقول : « ويحك ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية ! »

ولصق هو بالنبي ما ينأى عنه في سلم ولا حرب لأن قلبه وإيمانه لا بطاوعانه على أن يفعل ...

ولحق النبي الكريم بالرفيق الأعلى فكاه عمار - فيمن بكى - سحاً وتسكاباً ، وفي قلبه - من أثر الفراق - جرح ما يتدمل إلا أن يلحق بسيدته ، ثم هو لم يستشر الوهن ولا الضعف في دينه

وارتد مسيلة وقومه حين انفرجت الشفرة بموت الرسول فاندفع إليهم عمار - فيمن اندفع - نائراً هائجاً يهدر يريد أن يؤدب قوماً على عصيانهم ، وحين وجد في المسلمين هوادة وفتوراً ارتقى هو شرفاً عالياً ثم أخذ ينادى وقد قطعت أذنه : « إلى ، إلى يا معشر المسلمين ، أنا عمار بن ياسر ، أمن الجنة تفرون ؟ هللوا إلى ! » ثم اندفع إلى الصفوف يفرق ما اجتمع منها كأنه نقي في الثلاثين ، وهو قد شارف السبعين من سني حياته

فيلج باب دار الأرقم ليأتي محمداً ... ثم يتلفى - بعد حين - بنار يؤج سميرها وتنبعث من قلوب عليها أقفالها ... قلوب قريش المنيظة المحنقة ؟ وأطرق يفكر ما يطمئن إلى أمر ...

وجذبه من أخيلته صوت أقدام تسير إليه في وناء وثبات ... فإذا صهيب بن سنان أمامه ، فاندفع بمحذته : « ما تريد يا صهيب ؟ » قال صهيب « بل ماذا تريد أنت يا عمار » قال : « أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه » قال صهيب : « وأنا أيضاً ، فوري لقد دفعني قلبي إليه وإن خواطري لتضطرب في خيالي خشية مما ألاق بعد » ثم انطلقا جنباً إلى جنب إلى حيث النبي فأسلما معاً ، وما استطاما أن يبرحا الدار حتى خيم الظلام على الأرض ، فخرجا يتسللان ... وأشرق نور الايمان في قلب عمار بن ياسر فما استطاع أن يكتم نزوات الفرح والنيطة في قلبه ، فراح إلى أبيه (ياسر) وأمه (سمية) يحبب إليهما الاسلام فأسلما . وانطلق هو يملن عن إسلامه في جراءة لا يرهب القوة الثائرة ، ولا يخاف العذاب الأليم وافتن آل حذيفة في تمذيب آل ياسر - وما آل ياسر سوى عمار وأمه وأبيه - لا يتورعون من شر ... لقد مات ياسر في العذاب ، وماتت سمية إثر طعنة من يد أبي جهل ؛ وعمار يشهد فما وهن وما استكان ، فأغلظوا عليه وفي قلوبهم سراجل من النيظ يحمي عليها بنار من الصلف كلما خبت زادها الشيطان سعيراً .

وفي ذات مرة أخذوا ينظونه في الماء المرة بعد المرة فارتكوه حتى نزل عند رأيهم وقد بلغ به الجهد مبلغه ، وهم يقولون له : « اللات والمزى إلهك من دون الله » فيقول هو : « نعم » ويقولون له : « هذا الجمل إلهك » فيقول : « نعم » . وحين انفلت من بين أيديهم استنصر وبال أمره فراح يكفر عن خطيئته بعبرات الأسى والندم ، ويستغفر الله أن زل لسانه ، وفي قلبه حشرات وحشرات . ولقيه رسول الله (ص) وهو في أحزانه ما يستطيع أن يكفكف بعض عبراته فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول : « ما وراءك ؟ » قال عمار : « شرٌّ يا رسول الله ، والله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهمم بخير » فقال : « وكيف تجد قلبك ؟ » قال : « مطمئن بالإيمان » قال « فإن عادوا فعد » فانطلق عمار وقد مسحت كلمات النبي (ص) على أحزانه

رحم الله عمر بن الخطاب فلقد كان بصيراً بأقدار الرجال حين أمر عمار بن ياسر على الكوفة وكتب إلى أهلها : « ... أما بعد ، فإني بنت إليكم عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود وزيراً ومعلماً ، وإنيهما من النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسموا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما ... »

لقد تأمر عمار على الكوفة فما أخذته كبرياء المنصب ، ولا روعة الإمارة ؛ ثم عزله عمر فما استولى عليه اليأس ، وما حمل لأمر المؤمنين في قلبه حفيظة ولا حقدآ ، بل قال : « والله لقد ساءتني الولاية بقدر ما ساءني المنزل » واندفع على سننه لا يجد الخور ولا الفخور إلى نفسه سيلاً

يا عجباً ! يا عجباً ! يتغلغل الايمان في القلب فيحجب الانسان عن لداذات الحياة ومباهجها لينقله إلى لداذات ومباهج آخر هي لداذات قلبه ومباهج دينه ؛ ثم يزرع عنه أطماع الدنيا وشهواتها فاذا سواه لديه أن يكون له ملك لا يبتغي لأحد من بعده ، أو يكون فقيراً لا يستطيع السبيل إلى اللقمة يقيم بها صلبه إلا بشئ الأنفس

ووقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين ، فانشقت العصا ، وغدا كل حزب يزعمون أن الحق إلى جانبهم ، فانضم عمار إلى علي وأصحابه وهو يقول : « والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلت أنا على حق وأنهم على باطل » وراح يدفع عن الحق فما يهن ولا يستكين . وإنه في يوم صفيين لعل رأس رجال من أصحاب النبي كأنه علم ، إن تيامن تبعوه وإن تياسر تبعوه ، وهو يحرصهم بقوله : « أنفرون من الجنة والجنة تحت البارقة . اليوم أتى الأجابة : محمداً وحزبه » وفي يده حربة ترعد وهو ينادى : « ألا آمن يارز ؟ ألا آمن يارز ؟ »

« ويحك ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية ! »

وشهد هذا اليوم مشهداً مروعاً من مشاهد الحرب تنفطر له الأكباد ، هو قتل عمار بن ياسر ! لقد رماه أبو العادية الزني بالرمح على حين غفلة منه فهوى إلى الأرض ... ثم أكب عليه آخر فاحتر رأسه في غلظة وجفاء ... وانطلقا يختصمان لدى معاوية في رأس عمار وكل واحد منهما يقول : « أنا قتلتك » علمهما بصبيان

أجراً . وعند معاوية عمرو بن العاص وابنه عبد الله ورجال من خاصته والمقرين إليه ، فقال عبد الله : « ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه ، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول : تقتله الفئة الباغية » وقال عمرو بن العاص : « والله إنهما ما يختصمان إلا في النار ، والله لو ددت أتي رمّ قبل هذا بمشرب سنة » فارتد وجه معاوية وهو ما يستطيع أن يدفع عن نفسه بعض ما أصابها ، وفي قرارة نفسه أن جيشاً من أقوياء المسلمين وأشدائهم ما يقدر على أن ينال منه بعض ما يناله حديث عمرو بن العاص وابنه إن هو شاع بين جنوده

وهناك في المرء وقف علي بن أبي طالب عليه السلام بإزاء جثمان عمار بن ياسر يقول وفي قلبه الأسى والحزن على أن فقد صاحب رسول الله وحبيبه : « إن امرءاً من المسلمين لم يمُظم عليه قتل ابن ياسر ، وتدخل به عليه الصيبة الموجهة لغير رشيد . رحم الله عماراً يوم أسلم ، ورحم الله عماراً يوم قُتل ، ورحم الله عماراً يوم يموت ؛ لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله (ص) أربعة إلا كان رابعاً ولا خمسة إلا كان خامساً ، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين ، فهنيئاً لعمار بالجنة ... » وانطوت صفحة بيضاء ناصعة من صفحات الاسلام واتقض ركن من أركان الايمان الثابت ... فرحم الله عماراً

لامل محمد حبيب

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف هورث اولمانلي

الطبعة الجديدة

ترجمتها : أصغر حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرناً